جامعة الشهيد حمه لخضر-الوادي-

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم العلوم الإنسانية

الأستاذ : عمر بوصبيع

المادة : الحضارة الرومانية – محاضرات-

المستوى: السنة الثانية ماستر

التخصص : تاريخ الحضارات القديمة

السنة الجامعية: 2022/2021

السداسي : الثالث

المحاضـرة العاشرة

روما خلال العصر الإمبراطوري

جمع أكتافيوس (Octave) في شخصه كل المناصب العليا التي كانت في عهد الجمهورية ومنحه السيناتو سنة 27 ق.م لقب أغسطس (Auguste)، قام اكتافيوس بإقصاء كل من لم يكونوا مستعدين للتضحية من أجله في هذا المجلس (أو المتحمسين لحكمه) ووطد سلطته بتنظيم جيش دائم ومحترف، لم يكن الوضع قبل قيام الامبراطورية يعجب النبلاء ولا سكان المقاطعات الذين تعبوا من الانقسامات والصراعات بين السيناتو والعامة لذلك اصبحوا يفضلون حكما مستقرا.

حين حقق أكتافيوس طموحه بالوصول إلى الحكم، بدأ في إصلاح التصدعات التي كان هو طرفا في إحداثها، كان حكمه يمثل العصر الكلاسيكي للأدب الروماني، وقد وصلت اللغة اللاتينية إلى اوج تفوقها على اللغات الأخرى حيث صدرت بها أجمل الأعمال الأدبية، بدأ الأدب اللاتيني الروماني يتميز في هذا العصر عن الأدب اليوناني فظهرت بذلك أعمال الشاعر فيرجيلوس (Virgile) في الشعر وأعمال المؤرخ تيتوس ليفيوس في النثر.

العصر الامبراطوري من الاعلى (Le haut empire):

استطاع اغسطس الحاق كل من إسبانيا الشمالية، بلاد غالة الغربية، رايتيا (La Rhétie) (شمال غرب ايطاليا) النوريك (Le Norique) (جنوب رايتيا مباشرة)، بانونيا (La Pannonie) ومنطقة ميزيا (La Mésie) بين حوض الدانوب وبلاد البلقان إلى السيادة الرومانية. ترسخ خلال بدايات الامبراطورية حكم مستبد من طرف الامبراطور الذي خلف اغسطس وهو تيبريوس (Tibère) (14-37م)، الكل أصبح يسارع لخدمة الامبراطور بشكل تنافسي بين القناصل، والسيناتورات والفرسان حسب تاسيتوس (Tacite).

تحولت كل من كبادوكيا (Cappodoce) وكوما جان (Commagène) إلى مقاطعتين رومانيتين في عصر تيبيريوس. بدأ غزو بريطانيا (Bretagne) في عصر كلوديوس (41-54 م) وليستمر هذا التوسع بعد ذلك في عهد نيرون (54-68 م) ومع هذا الطاغية الذي افتتح زمن تعذيب واضطهاد المسيحيين انطفأت شمعة عائلة أغسطس.

بعد ثلاث محاولات للاستيلاء على السلطة من طرف الجيش الروماني تمكنت عائلة جديدة من الإمساك بزمام الأمور وأعطت لروما ثلاثة أباطرة بين 69-96م، اعتلى عرش روما فاسباسيان (Vaspasien) وفي عهده احتلت أورشليم ودمرت بالأسلحة الرومانية سنة 70 م، كما قمع تمردا لشعب الباتاف (Bataves) وتوقف غزو بريطانيا. خلفه في حكم روما ولداه تيتوس فلافيوس Titus Flavius (79-81 م) ودوميتيانوس (81-96 م).

ومع اختيار نيرفا Nerva امبراطورا لروما سنة 96 م، عاشت الامبراطورية الرومانية، أزهى عصورها، والذي استمر إلى غاية حكم ماركوس أوريليوس (Marc Aurèle) سنة 180 م، وألحقت بالأملاك الرومانية كل من داتية (Dacie) (شرق أوربا رومانيا الحالية)، بلاد الرافدين، أرمينيا وجزء من بلاد العرب. من أشهر أباطرة هذه الفترة تراجان (Trajan) (98-117م) وهادريانوس Hardien (117-138م) من عائلة الأنطونيين (Les Antonins). توفي ماركوس أوريليوس خلال حرب مع الماركومانس (Marcomans) شعب جرماني ، أولئك الذين أبرم معهم كومود (Commode) ابن ماركوس أوريليوس صلحا غير مشرف للرومان.

عمت فترة من الفوضى بعد انتهاء حكم الأنطونيين أين أصبحت الإمبراطورية عرضة لاستبداد قادة الجيش، بدأت شعوب القوط (Les Goths)، الفرانكس (Les Francs)، الألمان (Les Alamans)، البورغوند (Les Bourgandes) باقتحام الأقطار التي كان يسيطر عليها الرومان والذين كان عليهم في نفس تلك الفترة دعم حروبهم ضد الفرس (Les Perses).

تحت حكم بوبليوس فاليريانوس (Publius Valerianus) (253-260 م) وابنه الذي كان شريكا معه في الحكم إيجناتيوس غالينوس (Egnatius Gallienus) حاول ثلاثين متمردا الوصول إلى الحكم أو منصب الإمبراطور في روما.

وفي الخمس سنوات التي حكم فيها أوريليانوس (Aurilien) (270-275 م) استطاعت روما ضبط حركة التمرد والعصيان والغزوات الخارجية على حدودها، واسترجعت نوعا من هيبتها أمام أعدائها من الفرس وشعوب الجرمان أو شعوب الشمال.

العصر الإمبراطوري الأدنى (من حكم ديوكليتيانوس إلى سقوط روما)

يمكن القول أن شكل الحكم الجمهوري ظل محافظا عليه خلال العصر الامبراطوري الأعلى، أي منذ اعتلاء أغسطس عرش الإمبراطورية، غير أن الأمر تغير مع مجيء ديوكليتيانوس (Diocletien) إلى الحكم سنة 284 م، حيث بدأ عهد جديد، منح هذا الإمبراطور تنظيما ملكيا للحكم الإمبراطوري مستوحًا من الشرق، ومن أجل مواجهة البرابرة تحرك في جميع الاتجاهات، أشرك معه ماكسيميان في الحكم ورقّاه إلى رتبة قيصر أي نائب الإمبراطور وولي عهده، وأرسله لمواجهة القبائل الجرمانية في لاية غالة، وبعد مجهود مثمر من ماكسيميان رقّاه ديوكليتيانوس إلى مستوى أغسطس سنة 286 م.

وخلال حكم ديوكليتيانوس أدت الانتصارات على الفرس إلى تمدد حدود النفود الروماني في آسيا ولكن في نفس الوقت عرف المسيحيون اضطهادا ومضايقات شديدة. وقد أدى انقسام الإمبراطورية بين الإمبراطور ونائبه ونائبيهما إلى حروب داخلية.

اعتنق الإمبراطور قسطنطين (Constantin) سنة 312 م المسيحية و أصدر مرسوما سنة 315 م ، يسمح للمسيحين بممارسة عبادتهم بكل حرية، تلك الديانة التي كانت قد انتشرت في جميع مقاطعات الإمبراطورية، وظل يحكم إمبراطورية روما بمفرده، وفي سنة 323 م نقل العاصمة الى بيزنطا (Byzance) 329م، أعطى الدولة تنظيما مؤسسا على المركزية

في القرار وفي نفس الوقت فصل نهائيا بين الوظائف المدنية والعسكرية، ولذلك أحدث أربعة ولايات:

- ولاية غالة (Gaules) وتحوي 5 أبرشيات
- ولاية إيطاليا (Italie) وتحوي 4 أبرشيات
- ولاية ايلليريا (Illyrie) وتحوي 5 أبرشيتات
- ولاية الشرق (Orient) وتحوي 5 أبرشيات

ولا تتبع مدينتي روما ولا القسطنطينية (Constantinople) لأي من تلك الولايات وكانت كل منهما ولاية بذاتها.

انقسمت الإمبراطورية إلى إمبراطوريتين شرقية وغربية وحين مات قسطنطين انقسمت الامبراطورية بين أبنائه الثلاثة، ثيوديتيوس الكبير (Théodose) استطاع إيقاف هجمات القوط وحافظ على الإمبراطورية في حكمه وحرْم الديانة الوثنية، قسم ثيودوز أثناء موته الإمبراطورية بين ابنيه حيث منح الشرق لابنه أركاديوس (Arcadius) والغرب لابنه هونوريوس Honorius.

مزقت الثورات الداخلية وكذلك الهجمات الخارجية لشعوب القوط (Goths) والفرانكس (Francs) والبورقوند Burgondes والفندالس (Vandales) الإمبراطورية الغربية التي كانت تتكون من ولايتي غالة وإيطاليا ثم روما ورافينا (Revenne) كعاصمة لها. نهبها القوط ودمرها منذ حكم الامبراطور هونوريوس وخربت من طرف الفندالس وسقطت أخيرا تحت ضربات القائد أودواكر Odoacre زعيم الهيرول (Hérules) الذي أطاح بروموليوس أوغستيل (Romulus Augustile) من عرش الامبراطورية سنة 476 م، ومنذ ذلك الحين لم تعد روما سوى دولة تتبع أباطرة الشرق.

أسباب سقوط الامبراطورية الرومانية:

اختلفت أسباب سقوط الإمبراطورية حسب المؤرخين وذلك من خلال التفسيرات المختلفة والمتباينة التي قدمها هؤلاء والتي تراوحت بين أسباب دينية وعقلانية واقتصادية وطبيعية وخارجيه.

فهناك من رأى مثل زوسيموس (Zosimus) أن المسيحية هي المسؤولة عن تردي الأحوال الاقتصادية في الإمبراطورية، وأن سقوط روما على يد الآريك هو رد فعل لغضب الآلهة الوثنية التي صنعت روما وثبتت عظمتها، وبذلك يكون الإمبراطور قسطنطين هو المسؤول الأول عن ذلك. ويرد أوريسيوس على هذا الرأي بأن الرومان إبان عصورهم الوثنية لاقوا من الهزائم ما هو أقسى مما لاقوه في العصر المسيحي فلا ذنب للمسيحية في ذلك.

وهنالك فريق من الأساتذة من يعزون تدهور الإمبراطورية إلى تقلبات مناخية تولد عنها إصابة المحاصيل الزراعية بسبب الجفاف، ونتج عن ذلك مجاعات أدت بدورها إلى ثورات، وقبل كل ذلك تحرك القبائل البربرية من الجرمان والقوط بحثا عن الطعام وهي القبائل التي هاجمت الإمبراطورية في الغرب ووضعت حدا لها.

وهناك من أرجع الأمر إلى الإفلاس الزراعي الناتج عن انهاك التربة وإهمال الحكومة لرعاية أي مشروعات لتحسين الزراعة مثل الري والصرف وقلة الإنتاج وزيادة التكاليف وزيادة قيمة الضرائب، مما شجع الناس على ترك المزارع لتتحول إلى مراعي، وقد لوحظ ذلك في قائمة أسعار اللحوم الصادرة عن حكومة ديوقليديانوس حيث لوحظ هبوط سعر اللحوم، بينما ارتفعت أثمان المحاصيل الزراعية، يضاف إلى ذلك تفاقم خطر الأوبئة التي راح ضحيتها الآلاف من سكان الريف مما نتج عنه النقص الشديد في الأيدي العاملة خاصة في مجال الزراعة، كما يرى آخرون أن بعث الإمبراطورية الفارسية في الشرق أغرق إمبراطورية الرومان في حروب باهظة التكاليف بينما فشلت الإمبراطورية في مقاومة الغزاة.

كما أن التجارة الدولية لم تكن في صالح الاقتصاد الروماني لأنها كانت تجارة كماليات مثل العاج والحرير والتوابل والعطور، وبالتالي لم تكن روما تصدر أشياء مقابلها لأن صناعاتها كانت بدائية للاستهلاك الداخلي فقط، فضلا على أن الرومان لم يشجعوا على الصناعة لأنهم كانوا يحتقرون هذا النشاط، كما أنهم منعوا توظيف أموالهم في التجارة التي اعتبروها من شيم العبيد وليست من شيم الأحرار.

أما جونر فيرى أن سبب سقوط الامبراطورية هو هجمات الشعوب المعادية مثل الجرمان والهون والفرس وغيرهم وليس الاقتصاد.